تحسبن الذين يبخلون بما آتيهم الله لينفقوا في سبيله اذ جعله من فضله زايدا على
قدر حاجاتهم هو خيرا لهم بلى ينتفعوا به في المستقبل او اولادهم من بعدهم
بل هو وان انتفعوا به اولادهم شر لهم لا يوازيه خيره لو حصل لانه سيطوقون اوه
ما بخلوا به اى يلزمون وبال ما بخلوا به لزوم الطوق بل تصور ما لهم بصورة
شجاع يجعل في اعناقهم يوم القيمة وهم وان لم ينفقوه في سبيل الله فهو راجع
اليه اذ لله ميراث السموات والارض اى يصير املاك اهلها بعد فنائهم الى خالص
ملكه كما يصير مال المورث ملك الوارث وكذلك يرث حيوتهم وان لم يقتلوا
في سبيله ثم ان له ان يتلفه عليهم او على اولادهم لانه مقتضى افعالهم والله بما
تعملون خبير وانما راوا البخل خيرا لانهم راوا الانفاق اتلافا بلا عوض لكنه
تضعيف كما قال عز وجل من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا
كثيرة ولما سمعت اليهود ذلك قالوا ان الله فقير يستقرض منا فقال عز وجل لقد
سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء استهزاء بكلامه بحمله على
خلاف مراده لانه اراد انه ليس باتلاف بل هو تعويض كتعويض المستقرض ثمن
فحملوه على الاستقراض للحاجة مع انه لا دلالة للفظ الاستقراض عليه لكنه لما كثر
وقوعه للحاجة صار كالمدلول الالتزامي له عرفا سنكتب ما قالوا بطريق الاستهزاء
بكلامه الهاتك حرمته وحرمة المتكلم بحيث يبطل الهيبة او يتكلم به وهو في معنى القتل
لذلك عقبه بقوله وقتلهم الانبياء مع علمهم انه بغير حق كما ان هذا التاويل ايضا
بغير حق وانما نكتب ذلك ليكون حجة لنا في تعذيبهم اذ نقول لهم ذوقوا عذاب الحريق
اى ادركوه ادراك اللسان بالذوق للمطعومات بوصول اثرها الى باطنها فاذا
نسبوا ذلك الى الظلم قيل لهم ذلك بما قدمت ايديكم من هتككم حرمة الله وحرمة
كلامه وانبيائه المبلغين له واى ظلم اشد من ذلك فلا تنسبوا اليه المبالغة في
الظلم بل ثبت انكم المبالغون فيه وان الله ليس بظلام للعبيد ولو قالوا
ما بالغنا في الظلم بقتل الانبياء بغير حق بل انما قتلنا الكذابين اجيبوا بانكم
اعترفتم بكونهم انبياء لانكم الذين قالوا في الاعتذار عن ترك الايمان بمحمد صلعم
ان الله عهد الينا ان لا نؤمن لرسول اى لمدعي الرسالة وان جاء بمعجزات
قاهرة حتى يأتينا بهذه المعجزة المتعينة بقربان تاكله النار النازلة من السماء
عليه قل مقتضى هذا القول بعد تساوى المعجزات في الدلالة على صدق من ظهرت

على يديه

على يديه صدق كل من جاء بهذه المعجزة سواء اتى بمعجزات اخر معها ام لا
لكن قد جاءكم رسل كثيرون من قبلي بالبينات القاهرة وبالذي قلتم فكذبتموهم
فلو لم تكذبوهم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين في انا ما قتلنا الا الكذابين وانا انما
كذبنا محمدا لعدم اتيانه بهذه المعجزة المتعينة فان كذبوك بعد بطلان عذرهم
المذكور فقد كذب رسل من قبلك من غير عذر في التكذيب لانهم جاءوا
بالبينات اى المعجزات الفعلية والزبر اى معرفة كتب الانبياء السابقين عليهم
من غير تعلم بشرى والكتاب المنير اى المزيل شبهات اهل الكتب السابقة ولو
قيل ان كان الله مضاعفا للقرض اضعافا كثيرة فما لنا لا نجدها مع كثرتها اجيب
بنقطع من ه بانا انما لا نجدها لانها مما لا غاية لكثرتها والامور الدنيوية منقطعة اذ كل نفس
ذائقة الموت فلو حصل لكم فيها بعض الاضعاف فلا يوفي فيها وانما توفون اجوركم
يوم القيمة على ان الاجور انما تتم بالابعاد من النار وادخال الجنة بل ذلك
جميع الاجر فمن زحزح اى ابعد عن النار التي هي مجمع الافات والشرور وادخل
الجنة الجامعة للذات والسرور فقد فاز بكل بهجة سنية ونعمة هنية ثم ان
الاضعاف لو تمت في الدنيا لكانت سبب مزيد الغرور المتضمن ضرر
الاخرة كيف وما الحيوة الدنيا وان خلت عن تلك الاضعاف الا متاع الغرور ولدفع
الغرور لتبلونكم في اموالكم باذاتها بها وانفسكم باماتتها وفنائها ولتسمعن عند الابتلاء
في الاموال والانفس من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وان كان حقهم ان يبينوا
ان الابتلاء لدفع الغرور لكنهم ساووا المشركين اذ تسمعون منهم ومن الذين
اشركوا اذى كثيرا بان دينكم لو كان حقا لما ذهبت اموالكم ولا قتلت انفسكم و
ان تصبروا عند الابتلاء وسماع الاذيات وتتقوا ترك الدين عند ذلك فان
ذلك من عزم الامور اى من الامور التي جزم الله بالامر بها ثم اشار الى ان
اذى اهل الكتاب اعظم من اذى المشركين لانهم يغيرون ما في كتابهم وقد منعوا
كتمانه فضلا عن التغيير فقال واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه
اى الكتاب للناس وان لم يسالوهم ولا تكتمونه ان سالوهم فنبذوه اى الميثاق
وراء ظهورهم لا ينظرون اليه البتة بل غيروه واشتروا به اى استبدلوا به ثمنا قليلا
من الرشا وهو سبب العذاب الخالد فبئس ما يشترون بتغيير الكلام ونبذ ميثاقه
وراء ظهورهم ثم اشار الى انهم لا يرون قبح ذلك بل يفرحون به فقال لا تحسبن الذين

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)